المحاضرة -9-

الايديولوجيا و رواية المحنة (رواية التسعينات)

مفهوم الايديولوجيا :

ماهي الايديولوجيا؟ الايديولوجيا هي علم الأفكار و هي مجموعة منظمة من الأفكار التي تشكل رؤية متماسكة شاملة ،فهي طريقة لرؤية القضايا و الأمور التي تتعلق بالحياة اليومية أو تتعلق بمناحي فلسفية معينة و سياسية بوجه خاص.

مفهوم الايديولوجيا مفهوم متعدد الاستخدامات و التعريفات: يعرف قاموس علم الاجتماع مفهوم الايديولوجيا كمفهوم محايد باعتباره نسقا من المعتقدات و المفاهيم (واقعية و معيارية) يسعى الى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة من خلال منطق يبسط الاختيارات السياسية / الاجتماعية للأفراد و الجماعات.

و الايديولوجيا من منظار آخر نظام الأفكار المتداخلة كالمعتقدات والأساطير التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما و تعكس مصالحها و اهتماماتها الاجتماعية و الأخلاقية و الدينية و السياسية و الاقتصادية و تبررها في نفس الوقت.

و الايديولوجيا هي مجموعة الأفكار المرتبطة اجتماعيا بمجموعة اقتصادية أو سياسية أو عرقية أوغيرها ،منظومة تعبر عن المصالح الواعية ـ بهذا المقدار أو ذاكـ ـ لهذه المجموعة ,فالايديولوجيا تشكل الاطار النظري لشكل من أشكال الوعي.

في حين يعرّف البعض الايديولوجيا كقناع أو تعارض مع العلمية أو حتى كرؤية للكون. و القاسم المشترك بين هذه التعريفات أنها تطرح علاقة مركبة بين الواقع و الايديولوجيا ،فهي تعكسه و تحاول تسويقه أيضا ،و الواقع ليس مجرد واقع مادي بل واقع نفسي و روحي ،و هو واقع تطلعات و آمال كذالك.

ان الايديولوجيا تقوم بدور الوسيط لأنها نسق رمزي يستخدم كنموذج لأصناف أخرى : اجتماعية و نفسية و رمزية و هي تشوه الواقع أو تخطئه لكنه تشويه يعكس حقائق معينة و يطمس أخرى لتوصيل رسالة معينة.

فقوّة الايديولوجيا تكمن في قدرتها على الاحاطة بالحقائق الاجتماعية و صياغتها صياغة جديدة فهي لا تستبعد عناصر معينة من الواقع بقدر ما تسعى لتقييم نسقا يضم عناصر نفسية و اجتماعية و جينية مماثلة للواقع الذي تدعو اليه الايديولوجيا و السؤال هو مدى قدرتها و فعاليتها في رسم الواقع الاجتماعي و تقديم خريطة له و أن تكون المحور لخلق الوعي الجمعي.

و نحن هنا نقصد مفهوم الايديولوجيا كما هو مصاغ في الأدبيات و الفلسفة السيسيولوجية اذ ينحصر مفهومها العام في كونها وعيا يتصل بادراك العالم و فهمه و تعاطيه ،و ينقسم مفهوم الايديولوجيا الى ثلاثة مفاهيم رئيسة :

ـ بوصفه تبنيا من قبل زمرة اجتماعية لمنظور في فهم الأوضاع التي المحيطة به.

ـ بوصفه توجها ـ من قبل زمرة اجتماعية مهيمنة ـ يتأسس من مغالطات تحرف الحقائق تحت هاجس الحفاظ على مصالحها و الأوضاع الاجتماعية كما هي.

ـ بعدّه فكرا تنعدم فيه النزعة النقدية التي تميز العلم.

و لكن ما يهم في كل هذا أن الايديولوجيا تتصف بكونها وعيا يصاغ في حضن الجماعة و لا يعود الى فرد مفرد ، كما تتميز بمظهرين :

ـ اما تكون تكرارية لا تعيد تجديد نفسها إلا في ضوء اضافة فكرية تدعم القديم القائم في صالحها ،فيها نواة تحافظ على الأوضاع.

- و اما ثورية تسعى الى بناء تصور جديد لعالم يقوم على مراعاة التطلعات الاجتماعية لزمرة اجتماعية صاعدة بوصفها قوة منتجة ،و كلاهما مرتبط بوعي اجتماعي.

و الأدب ارتبط في علاقته بالايديولوجيا انطلاقا من المظهر الثاني .

<u>الجانب الايديولوجي في الرواية التسعينية :</u>

يشكّل الجانب الايديولوجي الخلفية الملازمة للفعل السياسي ،و الايديولوجيا هي عبارة عن منظومة الافكار و المبادئ التي تسعى الى تحقيقها جماعة ما أو المواقف التي تتخذها و تدافع عنها و تستعملها لتحقيق أهدافها و هنا تبرز علاقة الفن بالواقع أي علاقة ما هو اجتماعي و سياسي بما هو فني و لكن هذا لا يعني توثيق الواقع بل يجب أن يحمل الفن مواقف ايديولوجية و يحمل الخطاب الروائي المواقف الايديولوجية التي تعبر عنها الشخصيات حيث تبرز وعي علاقاتها و عاداتها و ممارساتها و أفكارها و أخلاقها ،أي يحمل العمل الروائي هذا الوعي الايديولوجي الذي يعبر عن رؤيته للعالم و التي يبلورها بصورة فنية ،أي تحويل الايديولوجيا الاجتماعية الى فن ـ وهناك فرق بين الايديولوجيا في الرواية ـ هنا تكون مكوّنا جماليا حيث توظف بطريقة فنية ابداعية ,و الرواية كاديولوجيا و هنا تتحول الرواية الى خطاب مباشر و تكون وعاء ايديولوجيا مما يجعل الرواية ضعيفة فنيا و جماليا. و قد وجدنا بعض الكتاب يكتبون الايديولوجيا قبل أن يكتبوا الفن.

وقد ارتبطت الرواية بالواقع السياسي والاجتماعي و الانساني ـ الواقع الاستعماري ـ و واقع ما بعد الاستقلال منذ نشأتها.

كانت روايات التأسيس مرتبطة بالايديولوجيا الاشتراكية التى وجّهت الفن و ربطته بالتحولات الاجتماعية و هنا وجدنا الروائي يتبنى هذا الموقف و سيّر وفقه عمله الفني و دافعت هذه الأعمال عن سير السلطة ضمن هذا الاتجاه فأصبح العمل الروائي مثقلا بالايديولوجيا و متضمنا لمفاهيم سياسية فالمبدع كان يعالج قضايا مجتمعه و يساهم في حلّها بعمله الفني وفق هذا التوجه و هنا نلاحظ سيطرة المضمون على النص. و رأينا أن أعمال (الطاهر وطار) مثلا التي انتجها في عهد الحزب الواحد تأسست على خلفية ايديولوجية يسارية و لكنه يؤكد في تصريح له أن رواية 'الولي الطاهر يعود الى مقامه الزكي ' هو تعبير عن هاجس الوئام المدني.

و هذا الرصد للصراع الايديولوجي الحادث في المجتمع تطور و بلغ قمته في التسعينات ،حيث أدت الأزمة الدموية بالرواية الى تمثل نمط جديد من الكتابة كان نتيجة الواقع الجديد المأزوم و المأساوي و حاولت الرواية كشف المؤامرات التي تحاك ضد الوطن و نشر العنف و الدمار و الخراب و القتل و الموت.
كشفت الرواية التسعينية عن العنف الايديولوجي الذي واكب اللأزمة و كانت الايديولوجيات السائدة تحاول كل منها تبرئة نفسها مما يحدث.

حاولت السلطة استئصال الاسلاماويين ،في حين عمل الاسلاماويون على تكفير النظام و اتهامه بالفساد و اطلاق أحكام عامة.

كان هذا نتيجة الصراع الايديولوجي بين الجانبين و كل منهما يبرر موقفه و التخفي وراء المصلحة العامة من أجل المصلحة الخاصة ، فكل ايديولوجية تحاول تأويل الوقائع بطريقة تظهرها على أنها محقّة و الايديولوجية المقابلة هي المخطئة و تجب معاقبتها.

الايديولوجية الاسلاماوية كانت حاضرة في الرواية الجزائرية التي حاولت تصوير صراعها مع السلطة آنذاك ,هذه الايديولوجية التي انجذب اليها الشعب لان دعاتها ركزوا على الدين ودعوا الى عدم الاهتمام بالسلطة و قد وجدت هذه الايديولوجية التي وجدت من يؤيدها خاصة بين الفئة الفقيرة و المهمشة ،الفئة الضعيفة خضعت لأفكارهم و ايديولوجيتهم التي استطاع دعاتها فرضها على أفراد المجتمع حيث حاولوا اقناعهم بأنهم سيقيمون الدولة الاسلامية التي ستدافع عنهم ،و هم كانوا يتخفون وراء هذه الوعود لتحقيق أهدافهم السياسية و الوصول الى الحكم.

كان حلم الشعب بتحقيق المساواة و العدالة الحلم الذي وعدتهم بتحقيقه الفئة الاسلاماوية هو الذي جرّهم الى تأييدها و تلبية نداء الجهاد الذي أصبح الشباب مقتنعون بضرورته لتحقيق العدالة و المساواة في الدنيا و الدخول الى الجنة بعد الاستشهاد ،صوّرت هذه الايديولوجية رواية ' سيدة المقام' ل(لأعرج واسيني) ، ف 'مريم' بطلة الرواية تساءلت عن المعنيين بالقتل و التصفية لاسم الجهاد حين سألت احداهن: "تقتلون من ؟ قالت: أعداء الله ، أشكون

أعداء الله ؟ قالت : الشيوعيون حزب فرنسا ، البربر البعثيون الملحدون العقلانيون اللائكيون ،أصحاب دعوات تحرير المرأة ،جمعيات نسوية جمعيات العهر و الفسوق الحكام الرعية المسؤولون على أجهزة الاعلام المقروءة ، المسموعة ،و المرئية ... وكل من يحذو حذوهم"

اذن كفروا الجميع و أطلقوا عليهم كل الصفات البعيدة عن الاسلام ،فلا يفرقون بين الحاكم و الرعية و النساء و الصحفيين .. كلهم خونة ملحدون شيوعيون ,هذه الايديولوجية السلبية هي التي أصبحت توجه سلوكياتهم ،نجد الروائي (محمد ساري) يصوّرها بدقة في رواية ' الورم' ,السلوكيات التي يقوم بها كل من اقتنع باديولجيتهم و يؤيد فكرهم فهم يؤكدون صحة ما يقومون به ،و يحلمون بجنة خضراء.... لا أحد يحاسبهم فقد أجاز لهم شيوخهم أعمال قتل الأبرياء و التخريب و الله سيغفر لهم لعلمه لاكما يعتقدون بنواياهم الصادقة ـ سيطرة هذه النظرة الخاطئة للإسلام جعلتهم يكفرون كل من يختلف معهم في الرأي ـ

أعمال (الأعرج واسيني) تنطوي على خلفية ايديولوجية تحيل الى الاتجاه الحداثي الجمهوري المدني ،و هو الاتجاه الذي تبناه معظم الروائيين بعد انهيار الايديولوجيا الاشتراكية الماركسية ،و بروز الاتجاه الاسلامي حيث نجد مثلا الروائي (حميد عبد القادر) يدعو الى هذا الاتجاه في رواية ' الانزلاق'.

انعكس في النص الروائي المعاصر الواقع بكل تشيكلاته و تفصيلاته حيث كان وعي الكاتب الجزائري بما يحدث في الواقع المعاش عميقا و عاليا فمعايشته للأحداث اليومية دفعته الى التقريب بين نصه و ما يدور في الحياة اليومية فكانت الروايات ناطقة بما يجري في الواقع المملوء بالمتناقضات و الصراعات ،فكان النص الروائي مسرحا لتصارع الايديولوجيات ,نقل الاديب الوقائع الى عالم الابداع و فضح تناقضات المجتمع و فساد النظام تغير القيم الايديولوجية بشكل فني مبدع لدى بعض الروائيين و لكن هناك فئة من الكتاب خاصة الشباب سقطت أعمالهم في فخ الايديولوجيا و الخطاب السياسي فكانت تقريرية أثّرت على البناء الفني و الجمالي.

حيث انزاحت أغلب النصوص الروائية من اللغة الى الايديولوجيا و سيطر عليها الوضع الاجتماعي المأساوي مع أنه يجب على الروائي أن تكون اللغة هي أهم اهتماماتها ،أدى هذا الى سيطرة المضمون على اللغة الفنية و فقدان الجمالية الأدبية في كثير من النصوص لأن بعض الروائيين نظروا الى النص بوصفه خادما للمضمون الذي كان خاضعا لأفكار الواقع.

و قد أثر الوضع الاقتصادي الجديد ـ اتباع الدولة لاقتصاد السوق على دعم الثقافة ـ و أرغم الواقع السياسي و الأمني المفزع الروائي على الهروب و تحمل تكاليف النشر فأصبح المبدعون الذين يكتبون بالفرنسية ينشرون في 'باريس' و المبدعون باللغة العربية ينشرون في لبنان و سوريا لاستحالة ذالك في الوطن الذي غرق في بحرالدماء.

الهدف العام من المحاضرة :

- معرفة مفهوم الاديولوجيا

- الصراع الايديولوجي في المجتمع

- صورة الصراع في رواية المحنة

المراجع :

- الديني والايديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة الأدبي و الايديولوجي في رواية التسعينات ملتقى سعيدة الخامس

- مفهوم الايديولوجيا عبد الله العروي المركز الثقافي العربي الدلر البيضاء المغرب 2003

- ان كان الأدب مسؤولا الشريف جلال فاروق منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق سوري 1988

- الثابت الايديولوجي في الكتابة الروائية الأدبي و الايديولوجي في رواية التسعينات روايات الطاهر وطار و الأعرج واسيني نموذجا وذناني بو داود أعمال الملتقى الخامس في النقد الأدبي في الجزائر المركز الجامعي سعيد ة 2008

انشطة التقويم:

- اسئلة حول الأفكار الرئيسية في المحاضرة

- كتابة مقال حول الصرع لايديولوجي و ملامح ظهوره في الرواية التسعينية